الصحافة في الدولة العثمانية من عهد التنظيمات إلى الانقلاب الحميدي

قراءة في النشأة والتطور (1839– 1908م)

The Press in the ottoman empire from the Tanzimat period until the Hamidi 1839- 1908

د. فاطمة الزهراء رحماني

Dr. Rahmani Fatma Zohra

جامعة الجزائر 02

Algiers 02 University - Algeria

تاريخ الإرسال:2021/06/01 تاريخ القبول: 2021/11/24

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان الظروف التاريخية والفكرية التي نشأت في ظلها الصحافة في الدولة العثمانية، مع محاولة تتبع مراحل تطورها من خلال رصد أهم الصحف العثمانية والعربية وحتى الفرانكفونية التي انتشرت في أراضي الدولة العثمانية منذ عهد التنظيمات إلى غاية الانقلاب الحميدي عام 1908م، بدءا بالعاصمة إسطنبول ثم الولايات العربية وصولا إلى بعض العواصم الأوروبية.

كما تسعى هذه الورقة البحثية إلى تتبع الصحف العثمانية والعربية المعارضة للحكم العثماني، مع محاولة استقصاء موقف الحكومة العثمانية منها.

الكلمات المفتاحية: الصحافة، الدولة العثمانية، فترة التنظيمات، السلطان عبد الحميد الثاني.

Abstract:

This study aims to illustrate the historical and intellectual conditions under which the press in the Ottoman State developed, while trying to track its development by monitoring the most important Ottoman, Arab, and even French newspapers that spread throughout the Ottoman State from the time of the organizations to the Hamidi coup d'état of 1908, from Istanbul to the Arab states to some European capitals.

This research paper also seeks to follow Ottoman and Arab newspapers opposed to Ottoman rule, while attempting to explore the position of the Ottoman government.

key words: The Press, Ottoman empire, Tanzimat, Sultan Abdul Hamid II.

.

مقدّمة

ظلّت الدولة العثمانية حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي تعتمد على السفارات الموفدة إلى الدول الأوروبية في رصد معلومات حول هذه الأخيرة، خصوصا فيما يتعلق بتطوراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية. لكن ذلك لم يكن كافيا في ظل متطلبات المرحلة الجديدة من تاريخ الدولة العثمانية المعروفة بفترة التنظيمات وما رافقها من ضغوط أوروبية، حيث دعت ثلة من أبناء رجالات الدولة الذين تخرجوا من المدارس الأوروبية والمدارس العثمانية الحديثة القائمة على النظام الأوروبي، إلى ضرورة الانتقال من مرحلة نقل الأساليب الفنية الأوروبية إلى نقل المؤسسات والأفكار الغربية. ومن هنا برزت الحاجة الملحة إلى اعتماد بعض الوسائل التي من شأنها تحقيق تلك الغاية، فكانت الصحافة واحدة من أبرز تلك الوسائل.

لكن المتمعن في المسار التاريخي لهذه الصحافة يلاحظ أنّها مرّت بعدّة مراحل تأثرت فيها بعدد من القضايا المهمة كاختلاف السياسات بين السلاطين ودرجة الاهتمام الذي أولوه للصحف، بالإضافة إلى التحديات التي واجهتها الدولة العثمانية داخليا وخارجيا والتي من أبرزها المؤثرات الأوروبية التي أخذت تتسرب تدريجيا إلى المجتمع العثماني _خصوصا في فترة التنظيمات وعهد السلطان عبد الحميد الثاني_ انطلاقا من فئة المثقفين والمفكرين الذين سعوا إلى إنقاذ الدولة من أزماتها بناء على الأفكار التي تولدت عندهم عن طريق المدارس الأوروبية، سواء أكان ذلك في العاصمة إسطنبول أم في الولايات العربية.

على هذا الأساس؛ تهدف هذه الدراسة إلى بيان الظروف التاريخية والفكرية التي نشأت في ظلها الصحافة في الدولة العثمانية، مع محاولة تتبع مراحل تطورها من خلال رصد أهم الصحف العثمانية والعربية وحتى الفرانكفونية التي انتشرت في أراضي الدولة العثمانية منذ عهد التنظيمات إلى غاية الانقلاب الحميدي عام 1908م، مع استقصاء موقف الحكومة العثمانية من تلك الصحف لا سيما المعارضة منها. كما تسعى هذه الدراسة للإجابة عن الإشكالية التالية: ما مدى انتشار الصحافة في الدولة العثمانية؟ هل كان لها حرية تامة إلى درجة التغيير في نظام الحكم؟ أم فرضت عليها الرّقابة التي قيّدتها ومنعتها من الانتشار؟.

وقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، كما تم تقسيم الموضوع إلى ثلاثة محاور؛ الأول جاء بعنوان خلفيات ظهور الصحافة في الدولة العثمانية حيث تم فيه التركيز على دور كل من الانفتاح العثماني على أوروبا والصحف الفرنسية في ظهور الصحافة في الدولة العثمانية. أما المحور الثاني فيحمل عنوان نشأة الصحافة في الدولة العثمانية وذلك من خلال التطرق إلى الصحافة في العاصمة إسطنبول وفي الولايات العربية. وبالنسبة للمحور الثالث فعنوانه الصحافة المعارضة وموقف الدولة العثمانية منها حيث خصص للحديث عن الصحافة العثمانية والعربية المعارضة، والرّقابة العثمانية التي فرضت على تلك الصحافة.

2. خلفيات ظهور الصحافة في الدولة العثمانية :

1.2الانفتاح العثماني على أوروبا:

كان من نتائج تراجع الأوضاع العامة في الدولة العثمانية وتدهورها أواخر القرن 16م ومطلع القرن 17م في مقابل تقدّم أوروربا وتطورها، أن برزت الحاجة إلى الاهتمام بتوسيع العلاقات العثمانية الأوروبية وفتح الأبواب للإفادة مما حققته أوروبا في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وكانت البداية مع جمع المعلومات عن الملوك الأوروبيين وسياستهم الداخلية والخارجية بواسطة غير المسلمين من الوسطاء، فضلا عن السفراء الأجانب في الدولة العثمانية. ثم عمدت هذه الأخيرة إلى الاستعانة بالموظفين الشبه الرسميين الذين أرسلتهم للتحاور مع السفراء الأجانب وممثلي الممالك المسيحية. لكن ذلك لم يكن ليقدّم صورة حية عن الحضارة الغربية كما أرادتها الدولة العثمانية، الأمر الذي دفع بها إلى إرسال العديد من السفراء إلى العواصم الأوروبية للاطلاع على منجزات الغرب الأوروبي، وانتقاء ما يصلح منها لحياة الدولة العثمانية [1].

وبالفعل شكلّ السفراء العثمانيون الذين تم إيفادهم إلى أوروبا أهم وسيلة أتاحت للعثمانيين الفرصة للتعرّف على مظاهر الحضارة الغربية لا سيما في القرنين 18 – 19م، حيث قام هؤلاء السفراء بتسجيل كل مشاهداتهم في الغرب الأوروبي وتدوين انطباعاتهم عن حضارته في تقاريرهم الموجهة إلى السلطان العثماني، فصار لدى العثمانيين فكرة شاملة لا تخلو من التفاصيل عن المجتمع الأوروبي بسكانه ودوله وحكوماته، وعن حياته العلمية وعمرانه وقوته العسكرية، بالإضافة إلى أفكار الأوروبيين التي تتحكم في تقدمهم وتعكس حضارتهم المعاصرة في ذلك الوقت[2].

وتعدّ وسائل نقل المعرفة والثقافة الحديثة وفي مقدمتها الصحافة من أهم النقاط الرئيسية التي ركزّ عليها أولئك السفراء، إدراكا منهم لأهميتها في معرفة الطرق والأساليب التي مكنت الدول الأوروبية من التقدم والتطور على كافة المستويات. حيث عرّف عن السفير العثماني يكرمي سكر جلبي محمد أفندي (ت 1730م) أنّه اشتغل فترة الحجر الصحي (1721م) لما كان بباريس في قراءة الصحف الأوروبية، بعد أن تفطن لأهميتها الكبيرة في تزويده بالمعلومات الكافية لأحوال أوروبا عامة وفرنسا بشكل خاص ومن ثم تقديمها لحكومته، رغم عدم تمكنه من التنقل بشكل كبير في العاصمة بسبب الحجر[3].

علاوة على السفير العثماني أحمد رسمي أفندي (1700- 1783م) الذي طلب من العاهل البروسي تزويده بأسماء الصحف المهمة من أجل نقلها إلى اسطنبول وبالتالي متابعة السياسة الأوروبية، فضلا عن اعتماده على الصحف الأوروبية في تدوين مذكراته حول الأوضاع في أوروبا[4]. بالإضافة إلى السفير عبد الرحيم محب أفندي الذي أولى اهتماما كبيرا بالصحافة الفرنسية لما كان بها سفيرا للدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة ما بين 1806- 1811م، حيث وصف في تقريره جريدة **Le Moniteur**، وعدّد عمالها. بالإضافة إلى ثمن اشتراكه للحصول على هذه الجريدة و 06 جرائد

أخرى[5]. دون أن ننسى مصطفى رشيد باشا (1800- 1858م) الذي أرسل مجموعة من التقارير من باريس خلال العامين 1834- 1835م إلى حكومته، تضمنت العديد من المعلومات التي نشرتها الصحافة الفرنسية عن الدولة العثمانية. كما أنّه كان يسعى دائما إلى استمالة العاملين في الصحافة المحلية، وكذلك الرأي العام الفرنسي نحو الدولة العثمانية[6].

زيادة على ما سبق؛ ساهم السفراء العثمانيون وفي مقدمتهم محمد جلبي أفندي في إدخال المطبعة إلى الدولة العثمانية، رغم التعقيدات والمعارضة التي اعترضت ذلك خصوصا من قبل علماء الدين [7]. لكن سرعان ما أسس إبراهيم متفرقة (1674- 1745م) ومحمد سعيد أفندي (ت 1861م) أول مطبعة عثمانية عام 1727م. ورغم أنّ المطبعة لم تنشر سوى 18 عملا، نسخ منها حوالي 16.500 نسخة فقط[8]، إلاّ أنّها كانت الخطوة الأولى التي مهدت الطريق لتقبّل وإدخال التقنيات الأوروبية الحديثة إلى الدولة العثمانية. إذ ساهمت في نشر المعارف الغربية عن طريق ترجمة العديد من الكتب من اللغات الأوروبية وطبعها في المطبعة العثمانية الرسمية. كما فتح المجال أمام العثمانيين لمعرفة أخبار الأوروبيين الأمر الذي دفع بالحكومة العثمانية إلى وضع مكتب للصحافة مهمتها متابعة الأخبار الأجنبية وترجمة اهم أجزائها إلى اللغة العثمانية[9].

2.2 ظهور الصحف الفرنسية في الدولة العثمانية:

رغم أهمية الانفتاح العثماني على أوروبا من حيث إطلاع العثمانيين على الصحافة، إلاّ أنّ أولى الصحف التي دخلت إلى أراضي الدولة العثمانية إنّما هي الصحف الفرنسية، وذلك نتيجة لتأثيرات الثورة الفرنسية خصوصا من الناحية الفكرية. حيث عمل السفراء الفرنسيون على نشر الدعاية لأفكار هذه الثورة وشعاراتها ونظام الحكم في فرنسا من خلال إصدار مجموعة من النشريات والدوريات والصحف في الدولة العثمانية، فقد نشر ابتداء من عام 1795م حوالي 700 عنوان للصحف الدورية في الأراضي العثمانية[10]. وقد ساعد في ذلك تأسيس المطبعة في إسطنبول سنة 1795م من قبل الحكومة الفرنسية عن طريق مدير المطابع القومية الفرنسي **Louis Diller** ، والتي تمكنت من خلالها طبع نشرة دورية كانت تصدر مرة في الشهر بعنوان: " مفوضية الجمهورية الفرنسية لدى الباب العالي"، كما نشرت وثائق وبيانات مثل: " دستور الجمهورية" [11].

وتعتبر **Bulletin des Nouvelles** أول صحيفة فرنسية تطبع في الدولة العثمانية سنة 1795م من قبل السفير الفرنسي **Raymond Verninac** (1761- 1822م)، وقد عنيت هذه الصحيفة بكتابة التقارير من الشؤون الداخلية والخارجية بالفرنسية، وغير ذلك من الأخبار الأجنبية. وقد صدرت هذه الجريدة قبل أن تتوقف سنة 1797م تسعة أعداد في كل شهرين لكن باسم آخر هو: **La**

Gazette française de Constantinople[12].

لكن الملاحظ على هذه الصحف، أنّها توقفت عن الصدور خلال سنة 1797م، وذلك نتيجة لتأثرها بواقع الظروف التي عرفتها العلاقات الفرنسية في نهاية القرن 18م خصوصا مع قيام فرنسا بحملة عسكرية على مصر إحدى أهم الولايات العثمانية من جهة؛ وعدم توافق هذه الصحف مع البيئة العثمانية التي لم تستقبل الطباعة إلاّ حديثا، فكيف إذا بالصحافة[13].

للإشارة فإنّ الفرنسيين لم يقتصروا على إسطنبول في نشرهم للصحافة فيها، وإنّما تعدى ذلك إلى ولايات الدولة العثمانية وخصوصا مصر بعد الحملة الفرنسية عليها سنة 1798م. حيث أصدرت جريدة العشرية المصرية **Le Décade egyptienne** وهي صحيفة سياسية تصدر كل 04 أيام في 04 صفحات وقد صدر منها 118 عددا (1798- 1801م) فكانت بمثابة صحيفة شبه رسمية للحملة تنقل أوامر القادة وأخبار الفرنسيين في مصر. أما صحيفة بريد مصر **Le Courrier de L'Egypte** فكانت تصدر كل 10 أيام بحيث صدر منها 116 عدد (1798- 1801م) وهي صحيفة علمية إقتصادية تنشرها أبحاث المجمع العلمي ومناقشته[14].

ولم تصدر جريدة فرنسية في الدولة العثمانية إلى غاية 1820/ 1830م من خلال إصدار جريدتين: **Le Spectateur Orient** سنة 1824م و **Le Courrier de Smyrne** سنة 1828م، وهما صحيفتان عنيتا بالكتابة في الشؤون الداخلية والخارجية للدولة العثمانية. وفي سنة 1845 أصدر **Edouard Blacque** (1824- 1895م) جريدة **Le Courrier de Constantinople**[15].

بينما تميزت الفترة الممتدة مابين 1850- 1875م بالإنتاج والتوزيع الوفير للصحف الفرنسية في الدولة العثمانية، حيث طبعت مابين 1830 و1860م من 200 إلى 300 نسخة في اسطنبول لوحدها ثم ارتفع العدد ليصل الى 2000 نسخة في اليوم[16]. وللإشارة فإنّ الصحف الفرنسية كان لها دور كبير في ظهور الصحافة الفرانكفونية في الدولة العثمانية التي شملت صحف الصناعيين والتجار الفرنسيين، إلى جانب أصحاب المصالح من الدول الأوروبية في الشرق أي الذين كانوا يقيمون علاقات مع الدولة العثمانية، أما الصحف الفرنسية فنجد: **Journal De Costantinople** الصادرة ما بين (1843- 1846م)، **Des Intérts Orientaux** الصادرة مابين(1843- 1846م)، **Journal De Costantinople** الصادرة ما بين(1846- 1866م)، **Echo de L'orient** الصادرة مابين(1846- 1866م)، **Le Phare du Bosphore** الصادرة مابين (1866- 1890م)، **La Turquie** الاصدرة سنة 1866م. أما الصحف الفرانكفونية فنجد: **The Levant Herald and Eastern Express** الصادرة سنة 1856م، **The Levant Time and Shipping Gazette**

الصادرة مابين (1868- 1947م) وغيرها من الصحف[17].

3. نشأة الصحافة في الدولة العثمانية:

1.3 الصحافة في العاصمة إسطنبول:

بدأت الصحافة في الدولة العثمانية بشكل رسمي من العاصمة اسطنبول، وذلك من خلال إصدار السلطان محمود الثاني لجريدة "**تقويم الوقائع**" سنة 1831م في إطار سعيه لإجراء إصلاحات عثمانية على كافة المستويات. صدرت الجريدة أول الأمر باللغة التركية "**تقويم وقائعي**" بإدارة قاضي مكة شيخ زاده أسعد أفندي، ثم باللغة الفرنسية تحت إسم " **Le Moniteur ottoman** "بإدارة Alexandre Blacque، إلى جانب صدورها بلغات أخرى[18].

كما كانت جريدة الوقائع في أول الأمر تصدر مرة واحدة في الأسبوع باشتراك سنوي قدره 120 قرش، لكن لم تكن منتظمة الصدور إذ سرعان ما تعطلت عام 1878م عند العدد 2118، ثم عادت إلى الصدور مرة أخرى في عام 1891م، لتتوقف عن الصدور مرة ثانية في عام 1892م وكان آخر عدد صدر منها هو العدد 238 سنة 1892م، ولم تستأنف الصدور إلاّ في سنة 1908م تحت اسم جديد (**دولت علية عثمانية نك جريدة رسمية سيدر**) أي "**جريدة الدولة العثمانية الرسمية**"[19].

وقد عنيت هذه الجريدة بالشؤون الخارجية والداخلية للدولة العثمانية، بالإضافة إلى إصلاحات السلطان محمود الثاني. حيث نشرت نصوص تشكيل الحكومة العثمانية المختلفة وهيكلها الإداري، وفرمانات تعيين الوزراء والولاة، وأخبار التبادلات الإدارية لمختلف موظفي الدولة العثمانية بولاياتها المتعددة، ونصوص القوانين المختلفة وواقع الأجهزة الحكومية، ونصوص القوانين المختلفة والتعليمات والأوامر السلطانية، وأحوال الزراعة والتجارة والصناعة، وأحوال التعليم والمدارس وما إلى ذلك من أمور، الأمر الذي جعلها تحظى بأهمية ومكانة كبيرة في الدولة العثمانية[20].

لكن رغم تلك الأهمية، إلاّ أنّ جريدة "**تقويم الوقائع**" لم تؤد الغرض المطلوب ألاّ وهو توجيه الرأي العام الداخلي والخارجي نحو السياسة الإصلاحية للدولة العثمانية خصوصا في فترة التنظيمات، لاسيما في ظل النظرة السلبية التي كانت تقدمها نسخ الجريدة التي كانت تصدر باللغات الأجنبية[21]. الأمر الذي دفع بالدولة العثمانية إلى تشجيع رعاياها على إصدار الصحف والجرائد في عاصمتها. ومن أبرز مظاهر ذلك تأييد السلطان عبد العزيز لإقتراح أحد المواطنين الإنجليز المقيمين في إسطنبول المدعو ويليام تشرتشل، بإصدار جريدتين إحداهما في إسطنبول تحت عنوان "**الحوادث**"، تصدر مرة كل 10 أيام وتنطق باللغة التركية، والثانية تصدر في مدينة إزمير باللغة الإنجليزية، وتصدر أيضا مرة كل 10 أيام. كما أنّ الدولة دعمت إحدى الجريدتين بتقديم مساعدة مالية قدرها 5000 قرش من خزانة الدولة لمدة 3 سنوات[22].

وللإشارة فإنّ جريدة "**الحوادث**" الصادرة في سنة 1840م، كان لها الأثر الطيب في تطور مهنة الصحافة ونشر اللغة البسيطة في الدولة العثمانية، وذلك بفضل ترجمتها للأخبار خصوصا بعد أن تمكن محررها ويليام تشرتشل من عقد صفقة مع أحد المراسلين الحربيين البريطانيين والفرنسيين الذين توافدوا إلى الدولة العثمانية إثر حرب القرم بين الروس والدولة العثمانية سنة 1853م، لتزويده بنسخ من تقاريره لينشرها في صحيفته. الأمر الذي أدى إلى إصدار جريدة الحوادث 5 مرات بدل مرة واحدة في الأسبوع[23].

من زاوية أخرى؛ دعمت الدولة العثمانية إصدار بعض الصحف العربية في العاصمة إسطنبول مثل جريدة "**مرآة الأحوال**" التي أصدرها رزق الله حسون الحلبي سنة 1855م، والتي تعدّ أول جريدة عربية تصدر في العاصمة. ثم تلتها جريدة "**الجوائب**" التي أصدرها أحمد فارس الشدياق سنة 1860م، وهي أول صحيفة تنشر أخبار يومية عربية سياسية مستقلة تعنى بقضايا العالم الإسلامي، كما كانت تحتوي أخبار من داخل الدولة العثمانية وخارجها. وقد انتشرت الجوائب انتشارا كبيرا في الشرق والغرب، ونالت شهرة واسعة، واستمرت في الصدور قرابة 33 عاما متواصلة دون انقطاع[24]. وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاقها ليبث من خلالها أفكاره، كما كان يقدم إعانة مالية سنوية للجريدة قدرها 500 ليرة عثمانية[25].

توالى صدور الجرائد العربية في إسطنبول ابتداء من سبعينيات القرن 19م، حيث صدرت سنة 1879م الجريدة الأسبوعية الأدبية "**السلام**" لصاحبها جبرائيل بن عبد الله دلال، وبعدها صدرت سنة 1883م جريدة "**الاعتدال**" لصاحبها أحمد قدري ترجمان اللغة العربية في الباب العالي والكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد الثاني. ثم جريدة "**السلام**" للحاج صالح الصاغي عام 1885م وجريدة "**الانسان**" لحسن حسني الطويراني سنة 1886م، وجريدة "**الحقائق**" لابراهيم أدهم عام 1888م. وفي سنة 1893م أصدر اللبناني محمد المخزومي جريدة "**البيان**"، التي انتشرت انشارا واسعا في الأقطار العربية والإسلامية ولا سيما في الهند. وفي سنة 1895م صدرت جريدة "**المعلومات**" وهي من أرقى الصحف العربية المصورة في عاصمة الدولة العثمانية لصاحبها محمد طاهر بك، كانت تطبع باللغات العربية والتركية والفارسية. وفي عام 1899م أنشأ اللبناني لويس صابونجي جريدة "**سياحتي**" ثم أصدر محمد زكي جريدة "**الكوكب العثماني**" عام 1900م[26].

وبعد إعلان الدستور العثماني سنة 1908 صدرت عدّة صحف عربية في إسطنبول بلغ عددها 9 صحف منها[27]: "**شمس العدالة**" لرشيد حاج والأمير خليل شهاب،"**كلمة الحق**" لجرجي حرفوش، "**القسطاس**" لمحمد كريمة ومحمد المجذوب. وفي عام 1909م أصدر شفيق المؤيد جريدة "**الاخاء العثماني**". كما أنشأ الشيخ عبد الحميد الزهراوي عدّة صحف عربية في إسطنبول منها "**الحضارة**" سنة 1910م، "**المدنية**" سنة 1911م، "**الإدارة** "سنة 1912م.

صدرت كذلك في سنة 1912م "**الإنتقاد**" لعبد الرزاق البغدادي، "**الفردوس**" لمحمد المقحفي، "**شركة الأخبار الصحفية**" لابراهيم سليم النجار، وكانت آخر صحيفة صدرت في إسطنبول هي جريدة "**الهلال العثماني**" للشيخ عبد العزيز جاويش.

وتجدر الإشارة؛ إلى أنّه بالإضافة إلى الجرائد التي صدرت في إسطنبول باللغة العثمانية وباللغة العربية، صدرت جرائد أخرى باللغات الأجنبية التي يتحدث بها أهالي المحافظات الرسمية التابعة للدولة العثمانية. وكانت مهمتها نشر الأخبار الداخلية والخارجية التي يعين بها عامة الناس، والأحداث المحلية داخل المحافظة بما فيها تعيين ونقل وعزل الموظفين ونقل توجهات الدولة. فكانت أول جريدة محلية على مستوى المحافظات هي الجريدة التي أصدرها مدحت باشا في محافظة طونا سنة 1865م باللغة العثمانية والبلغارية. ثم تبعتها جرائد محافظات أخرى مثل أنقرة وآيدين في مدينة إزمير وبوسنة وديار بكر وأرضروم وبورصة وقسطامونو، وقونيا وبيريزرن وسلانيك وآضنة وطرابزون باللغات التي ينطقون بها[28].

2.3 الصحافة في الولايات العربية:

ظهرت في البلاد العربية خلال الفترة العثمانية صحفا عديدة تنوعت في موضوعاتها وإداراتها وتباينت في مدة صدورها، وكانت تنشر في صفحتها الأخبار والموضوعات الاقتصادية والثقافية والسياسية التي كانت تصدر فيها الجريدة، فضلا عن أخبار أخرى عن الدولة العثمانية. وقد كانت البداية من مصر، حيث تعدّ جريدة "**الوقائع المصرية**" التي أصدرها والي مصر محمد علي باشا سنة 1829م أول الجرائد العربية الصادرة في العهد العثمانية، وقد كانت صحيفة رسمية تصدر 3 مرات في الأسبوع وأحيانا مرة واحدة، مهمتها نشر الأخبار والأوامر الحكومية وإعلاناتها والأحداث الرسمية، ثم أصبحت يومية في عهد الخديوي إسماعيل وأشرف على إدارتها مدة من الزمن رفاعة رافع الطهطاوي، ثم أحمد فارس الشدياق. صدرت باللغة العربية والتركية. كما صدرت نسخة باللغة الفرنسية سنة 1833م تحت عنوان:" Le Moniteur Egyptien "[29].

توالت بعد ذلك صدور الصحف في مصر في النصف الثاني من القرن 19م كان أبرزها الجريدة السياسية والعلمية والأدبية "**وادي النيل**" سنة 1866م التي أصدرها عبد الله أبو مسعود، ثم جريدة "**نزاهة الأفكار**" سنة 1869م التي أصدرها إبراهيم المويلحي ومحمد عثمان جلال. وصدرت بين الأعوام 1876و 1882 مجموعة من الصحف التي أصدرها اللبنانيون في مصر مثل: جريدة "**الكوكب الشرقي**" التي أصدرها اللبناني سليم الحموي سنة 1873م، وجريدة "**الأهرام**" الصادرة من قبل الاخوان سليم وبشارة تقلا سنة 1876م[30].

أما في بلاد الشام فقد عرّفت هي الأخرى نشاطا صحفيا منذ ستينيات القرن 19م، حيث بلغ عدد الصحف الصادرة في ولاياتها 86 جريدة منها 56 جريدة في ولاية بيروت وحدها. لكن الملفت للإنتباه أنّ

الظهور الأول للصحف العربية في العهد العثماني إنّما كان بطابع رسمي حيث تصدر بإشراف السلطة العثمانية في الولاية ورقابتها، وصدرت باللغتين العربية والتركية، وكانت الجريدة الصادرة في الولاية تنشر أخبار الولاية فضلا عن أخبار وأوامر حكومة الباب العالي[31].

ففي دمشق صدرت الجريدة الرسمية "**سورية**" سنة 1865م التي عنيت بنشر النصوص والأنظمة والقوانين والإعلانات الرسمية للحكومة العثمانية، واستمرت هذه الجريدة في الصدور إلى غاية 1879م أين صدرت جريدة "**دمشق**" التي تعد أولى الصحف الأهلية في ولاية سوريا لصاحبها أحمد عزت باشا العابد وهي جريدة أسبوعية سياسية صدرت باللغتين العربية والتركية، وتوقفت عن الصدور سنة 1887م[32]. وفي عام 1896م صدرت جريدة تحت اسم "**الشام**" لصاحبها مصطفى واصف، وهي جريدة أسبوعية، كما أنّها عنيت بالأخبار السياسية والعلمية والأدبية، واستمرت في الصدور حتى بعد إعلان الدستور العثماني سنة 1908م[33].

وفي حلب أسس واليها جودت باشا عام 1869م الجريدة الرسمية "**الفرات**"، وهي تختص بنشر أخبار الولاية وأوامر الحكومة وإعلاناتها. ثم تلتها جريدة "**الشهباء**" في سنة 1877م لصاحبها هاشم العطار[34]. أما في جبل لبنان فقد أنشأ واليها داود باشا جريدة أسماها "**لبنان**" سنة 1867م لخدمة مصالح الحكومة وإذاعة أوامرها وإعلاناتها، لكنّها عطلت سنة 1869م[35]. وفي بيروت أنشأ واليها علي باشا جريدة "**بيروت**" الرسمية سنة 1888م باللغتين العربية والتركية لإذاعة أوامر الحكومة والإعلانات الرسمية[36].

أما في فلسطين فقد تأخرت الصحافة فيها عن غيرها من الولايات الشامية، فصدرت أول جريدة عام 1876م وهي جريدة "**القدس الشريف**" وهي الجريدة الرسمية لمتصرفية القدس، تصدر باللغتين العربية والتركية. وفي السنة ذاتها أصدر الشيخ علي الريحاوي جريدة "**الغزال**" الشهرية في القدس باللغة العربية، وهي أيضا جريدة رسمية، وكانت تنشر أخبارا رسمية وفرمانات[37].

وعلى خلاف مصر وبلاد الشام، لم تصدر في ولايات العراق واليمن والحجاز إلاّ القليل من الصحف[38]، نذكر منها: جريدة "**الزوراء**" الرسمية الصادرة في بغداد سنة 1869م، وجريدة "**الموصل**" الصادرة في ولاية الموصل سنة 1885م، وجريدة "**البصرة**" في ولاية البصرة سنة 1895م. أما في اليمن فقد ارتبط ظهور الصحافة فيها سنة 1872 من خلال إصدار أول صحيفة تسمى بـ: "**اليمن**" بصنعاء وباللغة التركية بأربع صفحات، تعبر عن النهج السياسي والعسكري للإدارة العثمانية ولنشر القوانين وأخبار العاصمة استمرت بالصدور مدة 6 سنوات متواصلة، وفي سنة 1878م أصدرت الإدارة العثمانية باليمن صحيفة جديدة باسم "**صنعاء**" لتكون لسان حال الحكومة، وتحرر أسبوعيا باللغتين التركية والعربية. وتوالت الصحف العربية في الصدور في هذه الأقطار حتى بلغ

عدد ما صدر منها إلى عام 1880م (27) صحيفة ومجلة[39].

من جهتها عرفت تونس وليبيا أيضا تأخرا في ظهور الصحافة، كما ظلت محتشمة خلال العهد العثماني. حيث صدرت في تونس أول جريدة رسمية للحكومة التونسية سنة 1860م تحت عنوان: "**الرائد التونسي**"، والتي مثلت طيلة صدورها المرجع الرسمي في تطبيق النصوص القانونية والإعلانات الرسمية الموجهة إلى عموم الناس، كما أنها الجريدة الوحيدة التي تواجدت في تونس[40]. أما في ليبيا فقد كان صدور أول صحيفة خلال العهد العثماني الثاني عام 1866م بعنوان: "**طرابلس الغرب**" كأول صحيفة رسمية باللغتين العربية والتركية[41]. بينما لم تظهر في الجزائر إلا في الفترة الاستعمارية.

وللإشارة فإنّ الصحافة في البلاد العربية سواء في المشرق أو المغرب لم تكن كلّها ذات طابع رسمي، بل تم إصدار بعض الجرائد _ التي لا يسعنا ذكرها في هذا المقام _ على يد بعض المفكرين والأدبيين مثل خليل الخوري الذي أصدر أول جريدة خاصة في بيروت تحت عنوان "**حديقة الأخبار**" سنة 1858م، والتي حولت في سنة 1860م على عهد الوالي فؤاد باشا إلى جريدة شبه رسمية[42]. بطرس البستاني الذي أسس رفقة ابنه سليم البستاني أربع جرائد هي "**نفير سوريا**"، "**الجنان**"، "**الجنة**" و"**الجنينة**"، حيث هاجم فيها مسبب الفتنة الطائفية سنة 1860م في جبل لبنان، ودعا إلى الألفة والمحبة على شكل رسائل وطنية[43]. ومن جهة أخرى؛ ساهمت الطوائف الدينية خاصة في إصدارها للصحف منها: جريدة "**مجموع فوائد**" التي أصدرتها الطائفة الأرذوكسية سنة 1851 ببيروت، ثم تلتها جريدة "**البشير**" الصادرة من قبل أتباع الكنيسة الكاثوليكية للدفاع عن مبادئهم سنة 1870م وغيرها من الصحف[44].

كما ظهرت في ليبيا صحف حرة لم تخضع للسلطة الرسمية، شملت موضوعاتها العناوين السياسية والعلمية وأخبار الاكتشافات والعلوم الكونية مثل: جريدة "**الترقي**" الصادرة 1897م لصاحبها محمد البوصيري ومديرها علي عياد اتخذت في عملها منحى سياسي وعلمي، دورية "**المعارف**" الصادرة سنة 1907م بإدارة محمد الصادق المحمودي اهتمت بشؤون الولاية في الجال السياسي والاقتصادي، جريدة الكشاف الصادرة سنة 1908 باللغتين العربية والتركية لصاحبها محمد بك الأنصار. جريدة "**العصر الجديد**" الصادرة سنة 1908م لصاحبها محمد علي البارودي اختصت بنشر ما يتعلق بالمجالات الأدبية والاجتماعية والسياسية[45].

وعموما؛ فإنّ الصحف العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عرفت ارتفاعا ملحوظا رغم الرّقابة المفروضة من قبله، من 29 إلى 168 صحيفة في لبنان ومن 3 إلى 87 صحيفة في سوريا ومن صحيفة واحدة إلى 31 صحيفة في فلسطين ومن صحيفتين إلى 70 صحيفة في العراق، كما استحدثت 06 صحف في الحجاز[46]. وما إن أعلن الدستور العثماني سنة

1908م حتى تدفق صدور الصحف في البلاد العربية بشكل لم يسبق له مثيل، وذلك نتيجة للحرية النسبية التي أصبح الصحفيون يتمتعون بها، والتسهيلات الجمة في الحصول على الامتياز والاصدار. ففي الولايات الشامية صدر من الصحف من سنة 1908 حتى إعلان الحرب العالمية الأولى عام 1914م أكثر من 100 جريدة أحصاها الطرزي في كتابه تاريخ الصحافة العربية. أما في العراق فقد صدرت خلال سنة 1908م لوحدها 50 جريدة[47].

4. الصحافة المعارضة وموقف الدولة العثمانية منها :

1.4 الصحافة العثمانية والعربية المعارضة :

تزامنا مع الإصلاحات التي أحدثها السلطان عبد العزيز من جهة؛ وتزايد الصحف الأجنبية في الدولة العثمانية من جهة ثانية، بدأت الأفكار الغربية تتسرب إلى هذه الأخيرة وتسربت معها العديد من المصطلحات مثل: الوطن والوطنية والدستور والبرلمان والحرية والمساواة، وذلك عن طريق جيل جديد من المثقفين العثمانيين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس العثمانية الحديثة أو مدارس الإرساليات أو المدارس الأوروبية. حيث لم يكن الجيل الجديد راضيا على الإصلاحات التي يقوم بها السلطان عبد العزيز وحكومته، كونها لم تكن في نظرهم جذرية وقادرة على التغيير والقضاء على المساوئ الأساسية في الدولة العثمانية[48].

اعتمد هذا الجيل على الصحافة للتعبير عن امتعاضه لتلك الإصلاحات، ولنشر الأفكار الجديدة التي تنادي بالحرية والدستور والوطن...الخ، والتي رأوا فيها المنفذ الوحيد لإنقاذ الدولة العثمانية مما آلت إليه نتيجة لحركة التنظيمات. وأول من تزعم هذا الاتجاه الجديد هو إبراهيم شناسي (1826- 1871م)، الذي أقام في فرنسا مدة 6 سنوات إثر إيفاده إليها كموظف شاب في وزارة المالية التي كانت قد أنشئت حديثا، فتأثر كثيرا بثقافتها وحياتها الاجتماعية والسياسية. فكان أول من أسس جريدة عثمانية خاصة سنة 1860م رفقة صديقه آغا أفندي (1832-1885م) وهي "**ترجمان الأحوال**"، التي حاول من خلالها توجيه انتقادات للسياسة الخارجية والنظام الإداري والتربوي والمشاكل المالية للدولة العثمانية والتي أفرزتها _ حسبه _ التنظيمات ابتداء من سنة 1839م، الأمر الذي جعلها لا تدوم سوى 06 أشهر[49].

كما أسس شناسي أكبر جريدة أدبية وسياسية مستقلة (على النمط الفرنسي) سنة 1862م تحت اسم "**تصوير الأفكار**"، والتي سعى من خلالها إلى التأكيد على المضمون الأوروربي لنظريات القانون الطبيعي فقد اختار نشر "قانون الأمم" بقلم فانيل كأول سلسلة تصدر في الجريدة تصوير الأفكار، ونشر بعد ذلك مقالات تصف الحكم البرلماني الأوروربي[50].

مثّل شناسي المرحلة الأولى في عملية بث تيارات الثقافة الغربية في أوساط النخبة العثمانية، ثم واصل تلاميذه من بعهده المهمة وعلى رأسهم نامق كمال (1840- 1888م) من خلال إدارته لجريدة تصوير الأفكار ابتداء من العدد 24 [51]، بالإضافة إلى إصداره

لجريدة "**عبرة** "سنة 1870م، والتي حظيت بتأثير كبير لكونها صممت على غرار الصحف الأوروربية التي جذبت أنظار القراء إليها، كما أنّها عالجت موضوعات مهمة كالعدالة والمساواة الاجتماعية، والإصلاح التعليمي وأخبار الجيش والحروب العثمانية وغيرها من القضايا الحساسة المتعلّقة بالأحداث السياسية في نظر الحكومة العثمانية[52].

اتسع بث الأفكار الغربية في وسط المثقفين بعد ذلك في العاصمة إسطنبول لاسيما بعد سنة 1867م عن طريق إصدار العديد من الجرائد ليشمل موضوعات جديدة على غرار الموضوعات السياسية مثل جريدة "**تقويم التجارة**" التي كرّست نفسها لمعالجة الموضوعات الاقتصادية في الدولة العثمانية، وجريدة "**كواكب الشرق**" سنة 1869م التي عنيت بالأطفال والتربية[53]. كما بحثت العديد من الجرائد في قضايا المرأة، خاصة من خلال تولي بعض النساء العثمانيات في تحرير عدد منها مثل: جريدة "**ترقي النساء**" سنة 1869م، وجريدة "**العائلة**" سنة 1880م، وجريدة "**الخوانم**" سنة 1882م، وجريدة "**حديقة الزهور**" سنة 1883م، و"**صحيفة خاصة بالمرأة**" سنة 1895م [54].

زيادة على ما سبق؛ لم يكتف الجيل الجديد من المتأثرين بالفكر الأوروربي في إصدار الصحف بالعاصمة إسطنبول؛ وإنّما أصدروا جرائد أخرى للتعبير عن رفضهم لإصلاحات الحكومة ونشر أفكارهم في المدن الأوروربية والإنطلاقة كانت من لندن حيث أسس علي سعاوي (1839- 1878م) سنة 1865م جريدة أسماها "**المخبر**"، وهي أول نموذج للصحافة العثمانية خارج الدولة من جهة، كما أنّها أول جريدة ثورية في الدولة العثمانية من جهة ثانية. كما أنّها وجهت انتقادات لرجلين من أهم رجال الدولة العثمانية هما: محمد أمين علي باشا (1815- 1871م) ومحمد فؤاد باشا (1814- 1869م). الأمر الذي أدى إلى تقييد حريتها من قبل الحكومة العثمانية وحرية كل الصحف التي سارت على خطى هذه الجريدة[55].

كما دفع بالعديد من الصحفيين والمفكرين إلى مغادرة العاصمة إسطنبول إلى العاصمة باريس. وهناك مارسوا نشاطهم السياسي ضد السلطان عبد العزيز وحكومته سنة 1867م، وأسسوا منظمة جديدة دعوها بجمعية الشباب العثمانيين أو جمعية الاتحاد والترقي، الغرض منها تطبيق الإصلاح الداخلي في الدولة العثمانية ولاسيما الإصلاحات الدستورية[56].

وفي ظل تأسيس الجمعية؛ تم إصدار العديد من الصحف المعارضة في العواصم الأوروربية، وأولى تلك الصحف جريدة "**حريت (الحرية)**" التي صدرت في لندن سنة 1868م، والتي عبرت عن الاتجاه الجديد للجمعية. حيث احتوى العدد الأول من الجريدة على مقالتين رئيسيتين الأولى بعنوان (حب الوطن من الإيمان) وتتحدث عن الوطنية وتروج لفكرة الوطنية العثمانية مع التأكيد على الإنتماء إلى المجتمع العثماني. أما المقال الثاني فهو بعنوان (وشاورهم في الأمر) ويركز على ضرورة قيام حكومة عثمانية دستورية مسؤولة أمام

الشعب. واستمرت الجريدة في أعدادها اللاحقة تنشر مقالات تدور حول الوطنية العثمانية والحكومة الدستورية[57].

لم تكن "**الحرية**" الجريدة الوحيدة التي أصدرتها الجمعية؛ بل صدرت جرائد أخرى في العديد من المدن الاوروربية الرئيسية مثل لندن وباريس والبندقية ونابولي وليون وبروكسل مثل: جريدة "**اتحاد**" 1869، جريدة "**العلوم**" سنة 1869م الصادرة في جنيف، جريدة "**علوم مشترية**" 1870م، جريدة "**انقلاب**" 1870م الصادرة في جنيف أيضا، جريدة "**استقبال**" سنة 1870م. وبذلك تمكنت الجمعية من التأثير في جزء من الرأي العام العثماني وتكوين قناعات وأفكار عامة معبدة بذلك الطريق أمام التجربة الدستورية التي بدأت من إعلان الدستور العثماني سنة 1876م [58].

زيادة على ما سبق؛ صدرت صحف عربية في بعض المدن الأوروربية مناهضة للحكم العثماني. حيث صدرت في لندن سنة 1881م جريدتين عربيتين للويس صابونجي الأولى باسم "**الخلافة**" والثانية باسم "**الاتحاد العربي**"، دعت كل منهما للثورة على الدولة العثمانية بمساعدة بريطانيا[59]. كما دعت أيضا كل من جريدة "**المشتري**" سنة 1867م وجريدة "**الصدى**" سنة 1877م الصادرتان في باريس إلى ثورة العرب على الدولة العثمانية وبتدعيم من فرنسا[60].

كما صدرت صحفا أخرى في العواصم الأوروربية مناهضة للسلطان عبد الحميد الثاني وحكمه من جهة، والتحريض على تأييد الحركات الاستقلالية بين العرب ضد الدولة العثمانية مثل: الجرائد التي أصدرها إبراهيم المويلحي الصادرة في إيطاليا نذكر منها[61]: جريدة "**الخلافة**" الصادرة في مدينة نابولي سنة 1889م، وجريدة "**الأنباء**" الصادرة في ليفورنو سنة 1883م. بالإضافة إلى الجرائد الصادرة في باريس مثل: جريدة "**أبو نظارة زرقاء**" التي أصدرها يعقوب صنوع سنة 1897م، وجريدة "**كشف النقاب**" التي أصدرها الأمير أمين أرسلان سنة 1894م، ثم غير إسمها إلى "**تركيا الفتاة** "عام 1895م، وكان يشترك معه في إصدار هذه الجريدة خليل غانم. علاوة على ذلك؛ صدرت جريدتين في أمريكا الأولى باسم "**كوكب أمريكا** "سنة 1888م من طرف إبراهيم ونجيب عربيلي والثانية باسم "**مرآة الغرب**" سنة 1899م من طرف نجيب دياب.

2.4 الرقابة العثمانية على الصحف:

شعرت الدولة العثمانية ابتداء من خمسينيات القرن 19م بضرورة اتخاذ التدابير اللازمة تجاه الجرائد الصادرة باللغة العثمانية وباللغات الأجنبية، وضد الجرائد الصادرة سواء داخل أو خارج الدولة، وتحقيقا لهذه التدابير أصدرت الدولة سنة 1858م قواعد النشر الخاصة بالصحف الصادرة باللغات الفرنسية واليونانية والأرمينية والبلغارية، نصت على حصول الأجانب على ترخيص من طرف وزارة الخارجية العثمانية من أجل إصدار جريدة في الدولة العثمانية. كما أنشأت الدولة

مكتبا داخل هذه الوزارة مكون من موظفين ملمين باللغات المختلفة لمتابعة الجرائد وتقديم تقرير عما تنشره تلك الجرائد خاصة الأجنبية[62].

ليس هذا وحسب؛ بل عمدت الدولة العثمانية من خلال سفرائها في الدول الأوروربية إلى مراقبة ما تنشره الصحف الأجنبية. ومن الأمثلة على ذلك؛ مافعله الدبلوماسي العثماني مصطفى رشيد باشا (1800- 1858م) حيث كان يدفع شهريا 150 فرنك لأحد محرري الصحيفة الفرنسية Masag التي أخذت لهجتها تتغير تدريجيا لصالح الدولة العثمانية، بل وأصبحت متحيزة للسلطة العثمانية. كما قام بعمل علاقات طيبة بعدد من الصحف الفرنسية لتقديم موجز للمقالات قبل عرضها بـ 24 ساعة، حتى إذا واجهته بعض التناقضات السياسية يقوم بسحب هذه المقالات أو تخفيف لهجتها، فكان مصطفى رشيد باشا يبلغ الباب العالي أولا بأول بما يصدر في الصحف الفرنسية[63]. وفي سنة 1862م أنشت إدارة المطبوعات التابعة لوزارة المعارف العامة، الأمر الذي إدى إلى إخضاع جميع الجرائد الصادرة آنذاك في الدولة العثمانية لمراقبة وزارة المعارف العامة مباشرة، وليس من خلال رئاسة الوزراء كما كان سابقا[64] .

لكن أول قانون للصحافة صدر في الدولة العثمانية كان في عهد السلطان عبد العزيز، حيث أصدر هذا الأخير " نظام المطابع والمطبوعات" سنة 1864م، والذي تضمن 35 مادة، وعدّ دستورا للصحافة يبدأ العمل به اعتبارا من 1865م في كافة ولايات الدولة العثمانية، وطالبت المادتين الأولى والثانية بضرورة الحصول على إجازة من الحكومة لإصدار الجريدة، وأن تكون الإجازة من نظارة المعارف للمواطنين العثمانيين، في حين يحصل الأجانب على الموافقة من نظارة الخارجية. أما المادة الرابعة فطالبت أصحاب الصحف في داخل وخارج الدولة العثمانية أن يرسلوا نسخة إلى مدير المطبوعات في إسطنبول وإلى الوالي في الولايات[65].

وفي آخر الجريدة اسم صاحبها أو محررها، ومنعت المادة التاسعة جميع الجرائد الأجنبية التي تم فيها قدح الدولة العثمانية وتعرضت لأمورها يجب منع دخولها إلى الممالك العثمانية. وتضمنت المواد من العاشرة إلى الرابعة والثلاثين أنواع الغرامات وعقوبة السجن وعقوبات أخرى لكل من يخالف قانون المطبوعات أو تجاوز على مقام مولانا السلطان وأعضاء الحكومة العثمانية والولاة وموظفي الدولة أو في سفراء الدول الأجنبية. ونصت المادة الأخيرة على أن هذه القوانين تعدّ دستورا للعمل ابتداء من سنة 1865م[66].

لكن الملفت للانتباه أنّ هذا القانون لم يحدّ من حرية الصحف في الدولة العثمانية؛ بل جعل العديد منها تتبنى السياسة المعارضة تجاه السلطان العثماني وحكومته، إلى جانب محاولة العديد من الصحف نشر الأفكار والمبادئ الغربية في المجتمع العثماني[67]. وأمام هذا الوضع انتهج السلطان عبد الحميد الثاني سياسة مشدّدة على الصحافة الداخلية والخارجية معا، حيث أصبحت جميع الصحف والمجلات في عهده بدون

استثناء، تخضع للرّقابة قبل طبعها ونشرها[68]. وقد أشار السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته إلى أنّ فرضه للرّقابة على المطبوعات ليس سوى سياسة انتهجها لمنع تسرب المنشورات والكتب الضارة إلى الدولة العثمانية[69].

رغم من الإجراءات المشددة التي اعتمدها السلطان عبد الحميد، إلاّ أنّ إقبال الناس على هذا النوع من الصحف أصبح أكثر مما سبق. الأمر الذي دفع بالحكومة مرة أخرى في سنة 1877م لإصدار تعليمات تطالب أصحاب الصحف وتؤكد عليهم بوجوب الخوض في موضوعات تعود بالنّفع للمجتمع مثل تقدم التجارة والصناعة في الدولة العثمانية[70]. كما ألزمت الحكومة جميع الصحف بالتعليمات الصادرة من قبلها والإلتزام بتنفيذها، ومن تلك التعليمات: لا يجوز نشر اسم أعداء السلطان ولا الإشارة إليهم، وكذلك لا يجوز نشر أي مقال أو خبر قبل أخذ موافقة نظارة المعارف المسؤولة عن المطبوعات، ومن جهة أخرى كان على مسؤولي الصحف الإلتزام بنشر المقالات والأخبار التي ترسلها الحكومة للصحيفة، ولا يحق لرؤساء تحرير الصحف أن تحيد عن الصيغة التي وردت في تلك المقالات[71].

علاوة على ذلك؛ أمر السلطان عبد الحميد الثاني بتتبع جميع الصحف الرسمية التي تصدرها تركيا الفتاة في العواصم الأوروربية، وطبق كل القوانين للحيلولة دون دخولها إلى الدولة، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع بعض الجرائد من دخول حدود الدولة بواسطة البريد الأجنبي مثل جريدة "**مشورت**" التي أصدرتها الاتحاد والترقي في باريس[72]. كما أوقف العديد من المنتمين لتركيا الفتاة عن العمل الوظيفي، وأبعدوا عن الممارسة الصحفية، ونفوا من إسطنبول، وكان من بينهم رئيس الوزراء مدحت باشا (1822- 1883م) والصحفي ضياء بك (1825- 1880م) اللذان كانا يدعوان إلى الحداثة وحرية الصحافة والفكر[73].

تجدر الإشارة إلى أنّ السلطان عبد الحميد الثاني لم يستثن من الرّقابة الصحف الأوروربية سواء الصادرة في أراضي الدولة العثمانية، أو تلك التي تصدر في أوروربا. حيث تم تأسيس مديرية المطبوعات الأجنبية في وزارة الخارجية في عام 1883م، مهمتها متابعة المطبوعات الأجنبية وتصحيح الأخطاء والأكاذيب الواردة في الصحف الأجنبية في أوروربا والخاصة بالحكومة العثمانية، ومنع المطبوعات المسيئة من الدخول إلى الدولة العثمانية. بالإضافة إلى التحكم في البرقيات المرسلة من قبل المراسلين إلى الطباعة الداخلية، والسيطرة على مراسلي الصحف الأجنبية المقيمين في الدولة، ومنعهم من القيام بعمل أي منشورات ضد الدولة العثمانية[74].

في المقابل؛ أصدر السلطان عبد الحميد الثاني عام 1896م إرادة سلطانية توضح ضرورة عدم إعاقة الدعم المادي الذي يدفع إلى الصحفيين الأجانب بواسطة السفارة العثمانية في باريس، وبموجبها خصص مبلغ 21.314 قرش للإشتراك في الصحف الفرنسية في تلك الفترة حتى تقوم بتأييد الدولة العثمانية[75]. لكنّه

سرعان ما تراجع عن هذا القرار معترفا في مذكراته بالخطأ الذي ارتكبه حيث قال: "**تخلصت من كابوس حقيقي بعد أن فهمت تقاهة الابتزاز الذي كنت ضحيته... لقد سلكنا في تعاملنا مع الصحافة الأوروربية مسلكا خاطا، فأعطينا للمقالات التي نشرتها عنا وعن سياستنا قيمة أكثر مما تستحق كما كلفتنا الصحافة الفرنسية غاليا** ..."[76].

ابتداء من تسعينيات القرن 19م أصبحت الرّقابة تفرض بالدرجة الأولى على الصحافة خاصة تلك التي تصدرها جماعة تركيا الفتاة؛ لأنّ السلطان عبد الحميد الثاني وحكومته شعر بتحريض صحافة المعارضة وبعض كبار المسؤولين بالدولة، فكان لزاما فرض رقابة مشدّدة عليها. فلم يستطع الكتّاب على إثر ذلك أن يكتبوا صراحة عن السياسة بسبب الرقابة الشديدة، بل جنحوا إلى استخدام لغة ألطف وتعابير غير مباشرة في كتاباتهم؛ فأصبحت الصحف تتطرق في موضوعاتها إلى الشؤون الاجتماعية، ونشر القصائد الموضوعات الأدبية[77].

لكن الأوضاع التي آلت إليها الدولة العثمانية نهاية القرن 19م خصوصا تلك الإضطرابات التي عمت بعض المقاطعات العثمانية البعيدة عن العاصمة ، وازدياد سخط الناس في الداخل لاسيما في الجيش بسبب تردّي الأوضاع الاقتصادية والرواتب، وإعلان جمعية الاتحاد والترقي سنة 1908م للثورة على السلطان عبد الحميد الثاني الذي لم يتمكن من إخماد الثورة، فتم إعلان الإصلاح الدستوري الثاني، أثرت بشكل كبير على الصحافة العثمانية في تلك الفترة، لأنّها شهدت تأسيس جمعية الصحافة العثمانية على يد مجموعة من الصحفيين تميزوا بنشاطهم عام 1908م. وأصبحت الصحافة والسياسة تسير في اتجاه التمكين لجمعية الاتحاد والترقي لتصبح أشد نفوذا من السلطان، وباتت الصحف وقراؤها يصنفون بوضوح على أنهم أصوليون أو ليبيراليون أو معتدلون أو محافظون[78].

كما بدأت حقبة جديدة قويت فيها شوكة جمعية الاتحاد والترقي وتنازلت الحكومة العثمانية كعادتها عما كانت تدّعيه من قبل لا سيما فيما يخص حرية الصحافة. فشهدت هذه الفترة تحكما أقوى بالصحافة ورقابة أشد عليها، فأغلقت صحف كثيرة، واعتقل بعض الصحفيين في ظروف غامضة. وأخذت الصحافة ترتقي بما كانت تقدّمه من شتى صنوف الصحف والمجلات، وزاد القراء عددا وتنوعا، فزاد عدد الصحف اليومية تباعا من ثلاث إلى خمس عشرة صحيفة[79]. وبدأت توجهات صحيفة جديدة تظهر كذلك على الساحة مثل صحيفة "**اشتراكيت**" التي كانت تدعو إلى الفكر الشيوعي[80]؛ إضافة إلى غيرها من الصحف التي كانت لها اهتمامات أخرى، كصحيفة "**كادين (المرأة)**"، وصحيفة "**ديميت (باقة الزهور)**"، وصحيفة "**محاسن**"، التي عنيت جميعا بنشر محتوى عن قضايا المرأة. ثم أخذت غيرها من الصحف الأشد محافظة تجتذب إليها اهتمام الناس كصحيفة "**صراط المستقيم**" التي اهتمت بالأمور الدينية؛ ناهيك عن غيرها من

المنشورات الجديدة الفنية والفكاهية مثل "**رسملي كتاب (مجلة مصورة)**" و"**قلم** "اللتين عنيتا بنشر الأخبار والمحتوى الأقل جدّية[81].

5.الخاتمة:

مما تقدم نستنتج أنّ الصحافة في الدولة العثمانية جاءت متأخرة مقارنة بمثيلتها في الدول الأوروبية، إذ ارتبط ظهورها بحقبة زمنية شكّلت محطة مفصلية في تاريخ هذه الدولة وهي فترة التنظيمات وعهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1908م). حيث نما فيها الاحتكاك بالثقافة الأوروربية خاصة ثقافة عصر التنوير وأفكار الثورة الفرنسية، وظهرت معها مصطلحات وأدوات فكرية جديدة غيّرت مسيرة الفكر العثماني وملامحه وتوجهاته. علاوة على أنّ تلك الفترة شهدت تقلبات سياسية وأحداث اجتماعية وتفاعلات اقتصادية وتحولات فكرية، كان لها دور كبير _ بعد الإنقلاب الحميدي عام 1908م_ في انتقال الدولة العثمانية من مرحلة الإصلاحات والتنظيمات إلى المرحلة الدستورية.

زيادة على ذلك؛ فإنّ نشأة الصحافة في الدولة العثمانية جاءت كنتيجة لمبادرات فردية أكثر منها رغبة دولة. فرغم صدور أول جريدة رسمية مطلع الثلاثينيات من القرن 19م من قبل السلطان محمود الثاني، إلاّ أنّ الصحف التي ظهرت بعد هذه الفترة أصدرتها مجموعة من المثقفين الأتراك والعرب إلى جانب الرعايا الأجانب لترويج مواقفهم والأفكار والقيم الحديثة التي تبنوها، فضلا عن صدور العديد من الصحف خارج حدود الدولة وبالتحديد في بعض العواصم الأوروربية.

وقد يعزى هذا الأمر إلى توجس السلطة الحاكمة من تأثيرات الصحف في المجتمع العثماني، فقد كانت ترى أنّه بقدر نموها وانتشارها بقدر ما يتضاعف دورها. وفي الحقيقة هذا الخوف مبرر خصوصا إذا تتبعنا الدور المحوري الذي لعبته الصحافة في المرحلة الأخيرة من حكم السلطان عبد الحميد الثاني في تنامي الحريات الفردية والجمعية في الدولة العثمانية، وانهيار هرمية السلطتين الدينية والسياسية وقدرتها على احتكار المعرفة والحكم، وذلك من خلال نشرها للمبادئ والقيم الحديثة كالحرية والديموقراطية والجمهورية والدستور والوطن وغيرها، رغم الرّقابة المشدّدة التي فرضت عليها.

6.المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

– أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها سجل حافل لتاريخ فن الصحافة العربية قديما وحديثا، (مشورات دار مكتبة الحياة: بيروت، 1960م).

– بنحادة عبد الرحيم، العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة، تقديم: عبد الرحمن المودن، ط 1، (اتصالات سو: 2008م).

– بنت محمد جمال الدين فردوس، ، دور السفراء العثمانيين والفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية (1203- 1327 هـ/ 1788- 1909م)

، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2014م.

– بني المرجه موفق، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، (مؤسسة صقر الخليج: الكويت، 1984م).

– الترهوني امحمد إبراهيم، تاريخ الصحافة الليبية ودورها الوطني 1866– 1943، بحث منشور، المركز الوطني للتوثيق، المملكة المغربية، 2013.

– الجبوري هيثم محي طالب والجبوري زينب حسن، أثر حركة الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر، مجلة جامعة بابل، المجلد 23، العدد ، 03، 2015م.

– الرميزان محمد، التطور التاريخي للصحافة التركية منذ بدايتها وحتى اليوم الحاضر، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: الرياض، 2019م).

– زيادة خالد، المسلمون والحداثة الأوروربية، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات: بيروت، 2017م).

– السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية 1891– 1908م، دون مترجم، ط 2، (مؤسسة الرسالة: بيروت، 1979م).

– السليمان عبد الله، الصحافة العربية في ظل الدولة العثمانية"، مجلة المعرفة، العدد ،661، 2018م.

- أبو سنة زينب، صفحات من الادب التركي الحديث والمعاصر، ط 1، (الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007م).

– عبد العزيز عبد الله الحاج علاوي نسيبة، الاتجاهات الإصلاحية في الدولة العثمانية 1623– 1789م، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، العراق، 2006م.

– عبده إبراهيم (1942م)، تاريخ الوقائع المصرية 1828– 1942م، ط 1، (مطبعة التوكل: القاهرة، دون سنة نشر).

– العزاوي قيس جواد، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط 2، (الدار العربية للعلوم: بيروت، 2003م).

– عصفور سلمان محمد، العثمانيون الجدد أفكارهم الإصلاحية ودور نامق كمال في بلورتها، مجلة ديالى، العدد 49، 2011م.

– العواد محمد، سفير عثماني في فرنسا مطلع القرن التاسع عشر عبد الرحيم محب أفندي، مجلة ذخار، العدد 07، 2020م.

– الغامدي سعيد بن سعد، موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني (الشام ومصر) 1292– 1367هـ/ 1876– 1909م، ط 1، (مكتبة التربة: الرياض، 1992م).

– فكري محمد همام ، الرائد التونسي رابعة الصحف العربية، مجلة أعناب، العدد 08، قطر، 2016م.

– قدورة وحيد، (1992م)، بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام تطور المحيط الثقافي (1706– 1787م)، تقديم: عبد الجليل التميمي، (منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق

والمعولمات زغوان ومكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، 1992م).

– كورو فرانشيسكو، ليبيا أثناء العهد العثماني، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1984.

– مردين شريف، أثر الثورة الفرنسية في الإمبراطورية العثمانية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 119، 1989م.

– منصور علي جليل جاسم ، الدبلوماسية العثمانية وأثرها في سياسة التغريب 1716– 1839م، مجلة جامعة بابل، المجلد 25، العدد 06، 2017م.

– المنصوري سامي ناظم حسين، الجريدة الرسمية العثمانية تقويم الوقا ئع مصدرا لدراسة تطور التقسيمات الإدارية في سوريا 1908– 1918م، مجلة لارك الفلسفية واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع 22، 2016م.

– ناصر عبيدات ميسون، (2009م)، الصحافة السورية بوصفها مصدرا لدراسة التنظيمات الإدارية في ولاية سوريا في مرحلة التنظيمات العثمانية 1864– 1914م، مجلة حوليات آداب عين الشمس، المجلد 37، 2009م.

– ياسين عبد نادية، الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن التاسع عشر 1908)، تقديم: هاشم صالح التكريتي، ط 1، (دار ومكتبة عدنان: دمشق، 2014م).

المراجع الأجنبية:

- Canviet R.G , (1910), Limprimerie de l’expédition d’Egypte les journaux et les proces- verbaux de l’institut (1798-1801), Bulletin de l’institut egyptien, 5 eme, T 03, Paris.
- Pierre Joelle,(2005) , La presse français de Turquie canal de trnsmission des idées de la révolution , Revue Le Temps des Médias, N 05.
- Sinanlar Uslu Seza, (2010), Apparition et dévloppement de la presse francophone d’Istanbul dans le seconde moitié du XIX e Siecle , Synergies Turquie, N 03.

المواقع الإلكترونية:

- Buruh Lorans Tanata et Musnik Sara Yontan, « Presse francophone dans L’empire ottoman », https: // heritage.bnf.fr/bibliothequesorient/ fr/

7. الهوامش:

[1] فردوس بنت محمد جمال الدين،دور السفراء العثمانيين والفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية (1203– 1327 هـ/ 1788– 1909م) ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية. 2014، ص 165– 166

[2] نسيبة عبد العزيز عبد الله الحاج علاوي، الاتجاهات الإصلاحية في الدولة العثمانية 1623– 1789م، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، العراق، 2006م، ص 199– 200.

[3] عبد الرحيم بنحادة، العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة، تقديم: عبد الرحمن المودن، ط 1، اتصالات سو 2008م، ص 284.

[4] نفسه، ص 284.

[5] محمد العواد، سفير عثماني في فرنسا مطلع القرن التاسع عشر عبد الرحيم محب أفندي، مجلة ذخار، العدد 07، 2020م، ص 384.

[6] فردوس بنت محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 166.

[7] وحيد قدورة، بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام تطور المحيط الثقافي (1706– 1787م)، تقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعولمات زغوان ومكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1992م، ص 105– 108.

[8] محمد الرميزان، التطور التاريخي للصحافة التركية منذ بدايتها وحتى اليوم الحاضر، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض 2019م، ص 09.

[9] نفسه.

[10] Lorans Tanatar Buruh , Sara Yontan Musnik ;Presse francophone dans l’empire ottoman, https//heritage.bnf.fr/bibliothequesoeient/fr.

[11]خالد زيادة، المسلمون والحداثة الأوروربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017م، ص 87.

[12] Seza Sinanlar Uslu , « Apparition et dévloppement de la presse francophone d’Istanbul dans le seconde moitié du XIX e Siecle », Synergies Turquie, N 03, 2010 ,P 148.

[13] Ibid ,P 148.

[14] R.G Canviet, « Limprimerie de l’expédition d’Egypte les journaux et les proces- verbaux de l’institut (1798-1801) », Bulletin de l’institut egyptien, 5 eme, T 03, Paris, 1910, P 04-05.

[15] Joelle Pierre, « La presse français de Turquie canal de trnsmission des idées de la révolution », Revue Le Temps des Médias, N 05,2005 p169.

[16] Seza Sinanlar Uslu , Op cit,P 148.

[17] Ibid,P 150.

[18] Ibid ,P149.

[19] سامي ناظم حسين المنصوري،الجريدة الرسمية العثمانية تقويم الوقائع مصدرا لدراسة تطور التقسيمات الإدارية في سوريا 1908– 1918م، مجلة لارك الفلسفية واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع 22، 2016م، ص 544.

[20]نفسه.

[21]زينب أبو سنة، صفحات من الادب التركي الحديث والمعاصر، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة.2007م، ص170.

[22] نفسه، ص 166.

[23] عبد الله السليمان، الصحافة العربية في ظل الدولة العثمانية، مجلة المعرفة، العدد 661، 2018م، ص 117.

[24] مروة أديب، الصحافة العربية نشأتها وتطورها سجل حافل لتاريخ فن الصحافة العربية قديما وحديثا، مشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1960م، ص 144.

[25] عبد الله السليمان، المرجع السابق، ص 119.

[26] مروة أديب، المرجع السابق، ص 230– 231.

[27] نفسه، ص 231– 232.

[28] زينب أبو سنة، المرجع السابق، ص 177–179.

[29] محمد عبده، تاريخ الوقائع المصرية 1828– 1942م، ط 1، مطبعة التوكل، القاهرة، 1942م، ص 38– 104.

[30] هيثم محي طالب الجبوري وزينب حسن عبد الجبوري،أثر حركة الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر، مجلة جامعة بابل، المجلد 23، العدد 03، 2015م، ص 1456.

[31] ميسون ناصر عبيدات،الصحافة السورية بوصفها مصدرا لدراسة التنظيمات الإدارية في ولاية سوريا في مرحلة التنظيمات العثمانية 1864- 1914م، مجلة حوليات آداب عين الشمس، المجلد 37، 2009م، ص 201- 207.

[32] نفسه، ص 205- 206.

[33] نفسه، ص 206.

[34] نفسه.

[35] نفسه.

[36] نفسه، ص 207.

[37] نفسه.

[38] هيثم محي طالب الجبوري وزينب حسن عبد الجبوري، المرجع السابق، ص 1457- 1458.

[39] نفسه، ص 1460.

[40]محمد همام فكري، الرائد التونسي رابعة الصحف العربية، مجلة أعناب، العدد 08، قطر، الصفحات 52- 53 .

[41] فرانشيسكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني، ترجمة خليفة محمد التليسي، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1984، ص 129.

[42] ميسون ناصر عبيدات، المرجع السابق، ص 205.

[43] نفسه، ص 206.

[44] نفسه، ص 207.

[45] امحمد إبراهيم الترهوني، تاريخ الصحافة الليبية ودورها الوطني 1866- 1943، بحث منشور، المركز الوطني للتوثيق، المملكة المغربية، 2013، نسخة إلكترونية.

[46] موفق بني المرجه، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر الخليج، الكويت، 1984م، ص 195.

[47] مروة أديب، المرجع السابق، ص 209.

[48] قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط 2، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2003م، ص 135- 141.

[49] شريف مردين،أثر الثورة الفرنسية في الامبراطورية العثمانية، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 119، 1989م، ص 26.

[50] نفسه.

[51] قيس جواد العزاوي، المرجع السابق، ص 135.

[52] محمد الرميزان، المرجع السابق، 13.

[53] نادية ياسين عبد، الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن التاسع عشر 1908)، تقديم: هاشم صالح التكريتي، ط 1، دار ومكتبة عدنان، دمشق، 2014م، ص 134.

[54] نفسه، ص 142-143.

[55] محمد الرميزان، المرجع السابق، ص 12.

[56] محمد عصفور سلمان، العثمانيون الجدد أفكارهم الإصلاحية ودور نامق كمال في بلورتها، مجلة ديالى، العدد 49، 2011، ص 681.

[57] نفسه، ص 681-682.

[58] زينب أبو سنة، المرجع السابق، ص 487.

[59] سعيد بن سعد سفر الغامدي، موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبد الحميد الثاني (الشام ومصر) 1292- 1367هـ/ 1876- 1909م، ط 1، مكتبة التربة، الرياض، 1992م، ص 416-417.

[60] هيثم محي طالب الجبوري وزينب حسن عبد الجبوري، المرجع السابق، ص 1458.

[61] سعيد بن سعد سفر الغامدي، المرجع السابق، ص 412- 418.

[62] زينب أبو سنة، المرجع السابق، ص 182.

[63] علي جليل جاسم منصور، الدبلوماسية العثمانية وأثرها في سياسة التغريب 1716- 1839م، مجلة جامعة بابل، المجلد 25، العدد 06، 2017م، ص 2802.

[64] زينب أبو سنة، المرجع السابق، ص 182.

[65] هيثم محي طالب الجبوري وزينب حسن عبد الجبوري، المرجع السابق، ص 1455.

[66] نفسه، ص 1455.

[67] عبد الله سليمان،المرجع السابق، 2018م، ص 117

[68] فردوس بنت محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 269.

[69] السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية 1891-1908م، دون مترجم، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1979م، ص 103.

[70] محمد الرميزان، المرجع السابق، ص 13.

[71] هيثم محي طالب الجبوري وزينب حسن عبد الجبوري، المرجع السابق، ص 1456.

[72] فردوس بنت محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 270.

[73] محمد الرميزان، المرجع السابق، ص 15.

[74] فردوس بنت محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 271.

[75] نفسه، ص 274.

[76] السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص 221.

[77] محمد الرميزان، المرجع السابق، ص 15.

[78] نفسه، ص 16- 17.

[79] نفسه، ص 18.

[80] نفسه.

[81] نفسه.